ولم يكن سكّان القورسيّة من ذوي الغنى والثروة بدليل ان اسقفهم كان يضطرّ الى اسعافهم والقيام بالاشغال العموميّة لديهم. وكان في بعض المرّات يرفع العرائض من اجلهم الى الامبراطورة بولخرية القديسة وغيرها من كبراء المنصّبين (١ وهي تدل من جهة على شهامة قلبه وحنانه ومن جهة ثانية على شقاء الاهالي الذين بهظتهم الضرائب وثقلت عليهم جدًّا حتى ان الكثيرين منهم لعجزهم عن القيام باعبائها كانوا يؤثرون التسوّل وهجر الاوطان (الرسالة ٤٢) (لهُ بقيّة)

حِكَم بُزُرجمِهر

عُني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

وسُئل بزرجمهر: من اكثر الناس عداوةً. قال: الفاحش الجامد الكفّ. سئل: من اكثر الناس صديقًا. قال: البارّ بالناس اللّين الكلمة. سئل: اي السرور احلى. قال: سرور عواقب الاحتمال. سئل: اي الشهوات اعدل. قال: تجربة العقلاء ذوي اللبّ والحياء. سئل: اي الامور اعسر على صاحبها. قال: التماس رضا الاشرار. سئل: اي الاشياء اتعب تعبًا. قال: خدمة الامراء وصحبتهم. سئل: اي الاشياء اسرع تقلّبًا. قال: قلوب الملوك. سئل: اي شيء اسرع انقطاعًا. قال: مودّة الاشرار الجهّال. سئل: اي شيء أبين جورًا. قال: اللسان الكذوب. سئل: اي شيء افسد لقلوب الناس. قال: الظنّة والتهمة. سئل: اي شيء اشدّ تهجينًا لصاحبه. قال: الصَّلَفُ والمزاح للسوقة والبغي في الحروب وصغر الخطر وقلّة الحياء في النساء واتباع الهوى للعلماء والكذب لذي الشرف. سئل: اي الامور افضل في صلاح الدين. قال: الشكر لذوي النعم. سئل: ما بال العقلاء لا يُكثرون ملامة الجهّال. قال: كما لا يلومون العميانَ على قلّة البصر والمشايخ على كبر السنّ كذلك لا يلومون الجهّالَ على جهالتهم. سئل: ما افضل ما يعتقد اهل العقول من الخصال المحمودة. قال: قلّة الاسف على ما فات وقلّة الحزن

١) راجع رسالة ٤٢ – ٤٥

عند المصائب وترك الرجاء لما يُخاف فيهِ الغـدر وترك الفشل والخوَر في الشدّة وقلّة البطر في الرخاء فهذا ما يعتقد عليهِ اهل العقول. سئل: ما شرّ طبائع الامراء(٩٣ ٧). قال: الجبن عن الاعداء والبخل عن الاعطاء وترك مؤامرة العقلاء وسرعة العجلة في الاشياء. سئل: اي شيء اصعب مقاساةً لصاحبه. قال: التكلّف لاخفاء الفاقة. سئل: اي شيء اشدّ من الفاقة. قال: الاستكانة اشدُّ منها. سئل: اي السعادة افضـل. قال: ما وافق منها القضاء والقدر. سئل: اي خصلة واحدة في الكهول والشبان افضـل. قال: امّا في الكهول فالحلم. واما في الشبّان والأحداث فالنشاط. سئل: اي شيء اسعـد لطالبه. قال: من طلب حقًّا فادركهُ. سئل: من اسعدُ السعداء. قال: العاقل الموفّق الرشيـد. سئل: ما افضل مواقع الخير. قال: المؤاساة عند الشدائد. سئل: ما امارة العقل. قال: تعلُّم الادب الصالح. سئل: بما تُصلَح الطبائع المختلفة. قال: بالصبر والحلم. سئل: بما تتمُّ مروّات الاخوان. قال: بالمثابرة عليها. سئل: باي شيء يُعرف العقل وباي شيء يُعرف الخُلق. قال: امّا العقل فيُعرف بالحلم والنظر في العواقب. واما الخُلق فيُعرف عنـد منالة السلطة واصابة الثراء لانهما تُظهران من صاحبهما ما لم يكن يُعرف بهِ. سئل: ما احقّ ما يحتاج اليهِ العاقل. قال: التمييز بين الحقّ والبـاطل. سئل: اي شيء يزيد العاقل عقلًا ويزيد الجاهل جهلًا. قال: امّا ما يزيد الجاهل جهلًا فمعاشرتهُ للجهال الذين يُزيّنون لهُ جهلهُ ويُصوّبون لهُ رأيهُ فيزداد عند ذلك حمقًا وجهلًا. واما ما يزيد العاقل عقلًا فمجالسته العقلاء والاقتباس من آرائهم. سئل: اي شيء ازين بالعلماء واي شيء تُزين بالشجعاء واي شيء ازين بعوامّ الناس. قال: لا شيء ازين بالعلماء من الصدق ولا بالشجعاء من الصبر ولا بسائر الناس من سلامة القلوب. سئل: فهل يُغيّر قلوبَ العقلاء المالُ. قال: ليس بعاقل من يغيّر قلبَهُ المال. سئل: اي شيء افضل للعاقل. قال: اجتناب الآثام. سئل: اي خصلة هي شرّ من اعجاب المرء بنفسهِ (٩٤ ٣). قال: ازالةُ نفسه فوق قدرها. سئل: الشحّ والبخل امرهما واحد ام مختلفان. قال: هما مختلفان. قيل: فما اختلافهما وما بيان ذلك. قال: امّا البخل فامساك ما ينبغي ان يُعطى. والشحّ طلب ما ليس يحقّ لهُ. سئل: ما افضل ما يعمل بهِ الرجل لله ولنفسهِ ولسلطانهِ ولاخوانهِ ولاهلهِ ووطنهِ قال: اما لله فالشكر على نعمائهِ واحسانهِ. واما لسلطانه فالنصح والطاعة. واما لنفسه فالاجتهاد في اصلاح معاشه. واما لاخوانه فالصلة والبذل والمؤاساة. واما للاهل والولد

فحسن التأديب وكثرة الرحمة واللطف والبرُّ. سئل: ما بال العاقل لا يشتدُّ حزنهُ وهمُّهُ في وجههِ والجاهل يشتدّ ذلك عليهِ. قال: لان عقل العاقل يعلو همّهُ وحزنَهُ فيقهرهما. سئل: عن موقع الولد من القلب. قال: ان الولد يطيّب لابيهِ طعم الحيوة ويخفّف عنهُ ثقل الموت مع بقاء الذكر وحسن المعونة على الدهر. سئل: ما افضل المال. قال: ما أُنفق منهُ. وما لم يُنفق منهُ فليس لصاحبه. سئل: ما بال العقلاء يفرحون بالمال مع عظيم وِزْرهُ. قال: لما يحبون من اكتساب الأجر واصطناع المعروف فيهِ. سئل: اي الملوك افضل. قال: الذي يأمنهُ البريُّ ويخافهُ المذنب. سئل: من اغنى الناس. قال: اقنعهم بما رزق الله

(ومن كلامهِ الرصين) لا نُبل الّا مع تراهةٍ ولا ذهن الّا مع عقل ولا صدق الّا مع وفاء ولا وفاء الّا بسلامة صدرٍ. اصل العقل العفاف وثمرتهُ مجانبة الآثام. واصل العفاف القناعة وثمرتهُ قلّة الرياء. واصل النجدة القوّة وثمرتها مجانبة البغي. واصل العمل القدرة وثمرتها السرور. ومن حاول الامور احتاج الى ستّ خصال: الادب والتجارب والاعوان والفرصة والتوفيق والاجتهاد وهنّ ازواج. فالتجارب والادب زوج ولا يكمل الادب الّا بالتجارب (94ᵛ) ولا التجارب الّا بالادب. والاعوان والفرصة زوج لا يُنتفع الاعوان الّا بالفرصة ولا بالفرصة الّا مع الاعوان. والتوفيق والاجتهاد زوج فالاجتهاد سبب النجح والتفريط سبب الخيبة. والسبب الذي يدرك بهِ العاجز حاجتهُ هو الذي يحول بين المرء وطلبتهِ. خمسة من طبائع العلماء: تركُ الاسف على ما فات وتركُ الفرح بما يُؤتى وتركُ الرجاء لما لا يُرجى وتجنُّب البطر في الرخاء وتجتّب الاستكانة في الشدّة. سبعة من طبائع الجهّال: الغضب في غير شيء. والاعطاء في غير حق واعجاب المرء بنفسه وكثرة التبسم بين الناس وتضييع الشيء. وكثرة الكلام في غير نفع والثقة بمن لا يؤمن غشهُ. اول العلم الصمت والثاني الاستماع والثالث الحفظ والرابع العمل بهِ والخامس نشرهُ وافضلهنّ طاعة الله فيهِ. ينبغي للعاقل ان يجالس العلماء فانهُ ان اصاب حمدوهُ وان جهل علّموه وان احتاج اليهم نفعوهُ ولا يجالس الجهّال فانهُ ان اصاب لم يحمدوه وان احتاج اليهم خذلوه. وان ممّا يدلُّ على علم العالم معرفتهُ بما يُدرك من الامور ورغبتهُ في المكارم واظهارهُ علمهُ في الناس ومعرفتهُ باهل زمانه وبصرهُ بالناس وارشادهُ المستشير وتركُ مخالفة خلطائه والتسوية بين لسانه وقلبه ولا يسبقهُ لسانهُ الى ما يكتمهُ

قلبهُ . قال بعض من حضر من القوم : أيُّها الحكيم اي شيء ممَّا يؤتى المرء خيرٌ في دنياه وآخرتهِ . قال : غريزة عقلٍ . قال : فان حُرِمَهُ . قال : صديق حبيب ومشاور لبيب . قال : فان حُرِمَهُ . قال : ميتة قاضية . قال آخر : ما ثمرة العلم . قال : محبتهُ الناس لصلاحه واخذه بالوثيقة لنفسه . قال آخر : فما افضل ما اتاه العاقل لصلاح دنياهُ وآخرتهِ . قال : الاستماع من العلماء والقبول منهم والتقدُّم في العمل قبل وقتهِ وحسن (٩٥ب) الروِيَّة فيما يأتي وتجنُّب الطغيان عند القدرة وترك الاستكانة عند النائبة ولا يرتكب سوءًا قد يسوغ لهُ ولا يحزن على ما لا محالةَ واقعٌ بهِ ولا يحاول ما ليس من شأنهِ ويُعامل العدوّ بما لا يخاف لائمة الناس فيهِ . ومن ثمرة العلم الكفّ عن التأنيب في الشيء الذي ليس التأنيب فيهِ بنافع واتخاذ التجارب منارًا فيما يحاول من الامور ولا يحمد ما ليس لهُ حقيقة والمباعدة من سرورٍ تكون عاقبتهُ ثبورًا . ولا يطلب الراحة بالتواني ولا يعمل عملًا يخاف ان يورثهُ ندامةً ويحتمل النَصَب فيما تُرجى فيهِ المنفعة ويرضى بالحقّ اذا لزمهُ . وقيل لهُ : أيُّها الحكيم لكل انسان حاجة ولكل حاجة سبيل فمن اصاب ذلك السبيل نجح ومن اخطأ خاب فما ذلك السبيل . قال بزرجمهر : ان سبيل ذلك درك الدنيا والآخرة ولا سبيل الى دركهما الَّا بالعقل . والعقل نوعان : نوع مطبوع ونوع متعلَّم . فالمطبوع خلقةٌ تفرَّد بها الخالق والمتعلَّم مستفاد من المطبوع . ولا سبيل للمتعلم الى التعلُّم الَّا بصحة الطبع وقد قيل : انَّما الانسان عقل في صورة فاذا اخطأهُ العقل ولزمتهُ الصورة لم يكن انسانًا كاملًا وانَّما هو تمثالٌ بلا روح فمن طلب الادب فهو العاقل المتعلم فليعرف الاصول فانهُ اذا عرف الاصول اكتفى بها عن الفروع فاصل الامر في الدين ان يعتقد معرفة الله تعالى ومخافته ويشهد ان لا إله الَّا الله ويؤمن ببعثهِ وقيامتهِ ورسله ويُفوّض المشيئة اليهِ . واصل الامر في المعاش الَّا يُطلبَ الَّا من حِلّهِ وكريم مطالبه وتُجتنب المطالب الخبيثة والمكاسب الدنيَّة . واصل الامر في الاخوان ان يُنتقى منهم اخوان الصفا الذين ان احتاج اليهم واسَوهُ واذا زلَّ استقالوهُ واذا وقع في نائبةٍ لم يسلموهُ اليها . واصل الامر في الكلام السكوت عن كثيرٍ منهُ ولا تتكلَّم الا عند اصابة (٩٥أ) الفرصة فان الكلمة في غير موضعها تذهب بلا حلاوة ولا طلاوة . واَحزنْ كلامك كما تحزن نفقتك وزِنْهُ كما تزن دراهمك وخذ منهُ بقدرٍ وكُن منهُ على حذرٍ . واصل الامر في الطعام ان لا تحمل على معدتك الَّا بقدر طاقتك وقوتك وقم عن المائدة وانت تشتهي ما عليها من

الطعام. واصل الامر في لهوك ولذّتك ان تجعل لذلك اوقاتًا معلومةً وتجعل لذلك غايةً فاذا بلغت الغاية او قاربتها فدَعها. واصل الامر في العبادة ان تحمل عليها نفسك في ليلك ونهارك ولا تؤخر شيئًا هممتَ بهِ منها لغدٍ واستغنم الحسَنة الواحدة تعملها والسيئة الواحدة تتجنبها. فهذه الاصول التي تدور عليها الاشياء ومنها تتشعب الفصول فاحمدُ الناس من اخذ بها وعمل بجملها ولم يمل بهِ الى الهوى والى ما خالفها فان اتباع الهوى مفسدة للدين والعقل ومن رآه بالراي فانّما الفضل لمن كان عقلهُ غالبًا لهواهُ. واحقُّ ما شغل بهِ المرء نفسهُ بعد احراز دينهِ معاشهُ الذي فيهِ صلاح دنياه والقوّة على امر آخرتهِ. ولا ينبغي للعاقل ان يفرّط فيهِ من اجل وجوهه وابعدها من الدناءة والجشَع فان لكل رجل سببًا يطلب فيهِ معاشه ويتأتى لهُ فيهِ امّا رفيعًا واماً دنيًّا واماً بين ذلك ولا يحسن بذي العقل والدين ان يطلب من المعاش الّا قصدًا لافضل مطالب الرزق وتجنُّب ما يقبح منهُ ويكون شيئًا عليهِ

(قلنا) هذا ما عثرنا عليهِ في كتابنا المخطوط من حكم بزرجمهر وقد جمعنا في مجاني الادب اقاويل غيرها كثيرة لهذا الحكيم تجدها في الجزء الاول (العدد ١٢٥) وفي الثاني (ع ١٠١، ١٥٠، ١٥٢، ١٨٦، ١٩٦، ٢٠٤، ٢١١) وفي الثالث (ع ٦١، ١٥٣) فعليك بها وهي من اجلّ الحكم

الأُسرة النبيلة

او خلاصة اخبار بيت ابيلا

للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ في بلادنا السوريّة أُسرًا فاضلة قدمتها من الاقطار الغربيَّة منذ زمن مديد فتوطّنتها وانتشرت فيها واكسبتها فضلًا على فضل وصار تاريخها كقسم من تاريخ الوطن لا يجوز ان يبقى مطمورًا في زوايا النسيان

ومن جملة هذه الأُسر الشريفة التي وقفنا على بعض اخبارها آل ابيلا الذين لهم في صيداء ونواحيها الذكر المستفيض احببنا ان ندوّن خلاصة تاريخهم قبل ان تأخذهُ يد الضياع

*